التثقيف الجنسي

الدكتور

عبد الحميد القضاة

B.Sc,M.Sc,M.Phil,Dp.Bact,Ph.D(U.K)

اختصاصي تشخيص الأمراض الجرثومية والأمصال (بريطانيا)

مستشار الطب الوقائي و الإسلامي في المستشفى الإسلامي

مدير المختبرات التخصصية

اربـــد—الأردن

www.qudah.com

التثقيف الجنسي

المقدمة

كثيرا ما تعرضت أثناء محاضراتي في مدارسنا وكلياتنا وجامعاتنا ونوادينا، إلى أسئلة تنم عن جهل عميق في الأمور الجنسية، وهي محيرة لأنها تستوضح عن بدهيات أحرى بهم أن يعرفوها من صغرهم، وهي مدهشة كذلك لأنها بنيت على معلومات خاطئة استقيت من مصادر غير سليمة وتنتج عنها انعكاسات سلبية على حياتهم وأسرهم ومجتمعاتهم، الأمر الذي يحتم علينا آباء وتربويين وعلماء نفس تلافي هذا الجهل من واقع أبنائنا،بأن نثقفهم جنسيا بأسلوب تربوي هادف ينسجم مع قيمنا الإسلامية ومبادئنا الأخلاقية.

فما هو التثقيف الجنسي من منظورنا؟

" إنه عملية تزويد الأبناء بشكل متدرج، بكل ما يحتاجون من معلومات صحيحة حول الأجهزة التناسلية في أجسامهم، وتطوراتها، وتأثيراتها عليهم جسمياً، وفكرياً، ونفسياً، وعاطفياً، في جوٍّ من الجَديّة والاحتشام حسب ما تُمليهِ علينا قِيَمُنا الدينيّة و الاجتماعيّة، مع مراعاة قدراتهم على استيعاب الجرعات التي تتناسب ومراحلهم العمرية".

يُؤكِّدُ التربويون وعلماء النفس والطب على ضرورة البدء مع الطفل بالتثقيف الجنسي من سن مبكرة، وذلك عن طريق برامج توعية مدروسة ومُعدّة بعناية ودقة، لتتمشى مع مدارك الطفل في مختلف مراحل حياته، فلا بُد من التّدرُّج في العملية التثقيفية هذه لتتم على شكل مُستوياتٍ تُحَدَّد في كل منها الفئات العمرية المُخاطبة، وبناءً عليها تُحدَّد الموضوعات التي يمكن بحثُها في كل مرحلة.

تبدأ هذه البرامج بتمييز الطفل بين أعضاء جسمه، فيتعلمُ الحياء من كشف بعضها (كالأعضاء التناسلية)، إلى تعليمه بما يمكن الحديث عنه مع الآخرين، وما لا يجوزُ بَحثُه إلاّ مَعَ الوالدين، انتهاءً بتعريفِهِ بالعلاقات الجنسية، وما يجوز منها (المباح) وما يَحرُم، والأمراض المنقولةُ جنسياً وطُرُقُ تجنبها. وهدفنا من ذلك أن نُحصِّنَ الأبناء بالإيمان والمعلومات الصَّحيحةِ، ونُعِدُّهُمْ ليكونوا قادرين على وقاية أنفسهم ذاتياً من الكثير من المزالق والأضرار، وعلى رأسها الانحرافات الكثيرة التي يُدبِّرُها لهم شياطين الإنس والجن. ثم ليكونوا على وعي تام بكل التطورات الطبيعية في أجسامهم، والتغيرات التي تطرأ عليها،وانعكاسها على نفسياتهم،ليُحسنوا التعامل مع الغريزة الجنسية بما يُرضي الله، تبارك وتعالى، فتنعكِسُ عليهم سعادةً وأجراً وثواباً وصحة، وعلى المجتمع أمناً واستقراراً.

فإذا استطعنا أن نُجنِّبَ الشّبابَ ما يُحيكه لهم أعداءُ الإنسانيَّةِ الذين يستغلون الغريزة الجنسية، وقوتها الضّاغطة على العواطف، لإفساد فِطرة الشّباب وبالتالي سقوطهم في الرذيلة، وانحرافِهم عن الجادة.....إذا استطعنا ذلك، نكونُ قد ساهمنا في حمايةِ فلذات أكبادنا، مستقبل الوطن والأمة بل والبشريّةً جمعاء، من الفساد والإفساد وسلسلة الانحرافات المهلكة.

التثقيف الجنسي ... لماذا الآن ؟!

عندما خلق الله المخلوقات ومنها الإنسان، قضت إرادته سبحانه وتعالى بعمارة الكون، واستمرار الحياة على الأرض، فأوجد فيها الأصول المحسنة لكل نوع بأن أوحى إلى سيدنا نوح، عليه السلام، أن يحمل في سفينته من كلٍّ زوجين اثنين، وكفل لهذه الأصول ديمومة الحياة باستمرار تكاثرها، لتتحقق بها عمارة الأرض، ذلك بتزويدها فطرياً بما تحتاج إليه من أدوات وغرائز، كما أودع فيها كذلك آلية استعمال هذه الأدوات والغرائز، من حيث متى وكيف تتحرك، وماذا يحركها، وكيف تشبع جوعتها؟ لتستمر الحياة ، ويستمر النوع بالبقاء، فتتحقق العمارة المنشودة في الأرض.

وهكذا كانت حياة الإنسان، تتطور مع فطرته وفي ضوئها بشكل طبيعي، بدنياً وعقلياً ومعرفياً، وبتوازن تام وتناغُمٍ رائع وتناسُقٍ بديع. تكشف له فطرتُهُ عن مكنونات خلقهِ – حسب المرحلَةِ التي يَمرُّ بها يوما بعد يوم – كماً ونوعاً.

لكن تدخلات الإنسان العابثة أفسدت فطرته، ولم تترك الأمر يسير وفق الفطرة وصفائها. فصار يَزيدُ ويُعيد ... ويستبقُ الأمرَ ... ويُضيف من تلقاءِ نفسه ما لا حاجة له به حتى أفسد فطرته والبيئة الفطرية من حوله. مما وضع الغيورين والمصلحين في سباق دائم مع هؤلاء المفسدين، ليُحافظوا على سلامة الفطرة ممّا يتهددها من تشويهاتٍ مقصودة.

وأكثرُ الفئاتِ تأثُّراً بتدخُّلاتِ شياطين الإنس المُفسدة، هم الأبناء، وخاصة في العَقدِ الأول من أعمارهم. فبلا وعي يقوم الطفل بتخزين كل ما يَرى ويَسمع،ونظرا لقلة المعرفة لا يميز بين الغث والسمين، فيبدأ بالانحراف تدريجيا، شيئاً فشيئاً يتسع الخرق على الراقع، لذا فكلما كان التَّدخُّلُ الإيجابي مُبكراً ومُتدرجاً كانت

الفائدة أكبر، أما إذا نامت نواطير مصر عن ثعالبها، فقد يتسع الخرقُ ويهلك الجيل ولا ينفع حينها الندم.

أما فيما يتعلق بموضوع الثقافة الجنسية؛ فقد كان الإنسان – في المدى المنظور من الزمن – يعيش وفق تطور حياته الطبيعية، ونُمو جسمه وعقله على التوازي، بشكل مُتوازن، لا يحتاج إلاّ إلى القليل من التَّوجيهات الخارجية ليُتابع حياته بيسر وسُهولة دونما قلق أو حيرة أو خوف. و حينها كان كل من حوله – الأصدقاء، والجيران، والأقارب، والأهل، وكل من في الشارع – يُوجِّهُهُ التّوجيهَ السليم، إلا ما ندر. وما كان غير ذلك كان يتم في الخفاء ... على استحياء من الناس، وَوَجَلٍ أن يراهُ هذا فيُؤنِّبْهُ ... أو أن يطلع عليه ذاك فيزجره!!

أما اليوم فقد تغير الحال، وأصبحت عين الشباب لا تقع إلا على ما يهيج العواطف، ويثير الشهوات ويحرك الغرائز، فمن القصة الهابطة إلى الأغنية الماجنة إلى الفلم الخليع إلى الصورة الفاحشة، كل هذه يحركها شياطين الإنس وبشكل مستمر ليصوغوا لجيل اليوم تصوراته وثقافته ونظرته للأمور، وتنتهي من ذاكرته كل نوازع الخير، وبالتالي لم يعد هناك من الضوابط ما يحدد له المعلومات التي يحتاج إليها في كل مرحلة، حتى أصبح بمقدور الطفل أن يطلع على أدق التفاصيل، وأن يراقب الممارسات الجنسية بمنتهى الدقة والوضوح، فتتحرك غريزته وتستيقظ شهوته قبل أوانها، فتتولد لديه جوعة جنسية عارمة، يزداد سعارها يوما بعد يوم، فيندفع بكل قوته لإطفاء لهيبها ويدخل في سباق،إذ تستمر وتتجدد المؤثرات فيستمر بالاندفاع نحو الرذيلة دون أن يشبع....!! ويستمر السباق بحيث لا تهدأ غريزته ولا يتوقف عن اللهاث وراء الشهوات.....!!

وأما المواقع الإباحية على الشبكة العنكبوتية العالمية (الانترنت) فهي ثالثة الأثافي،حيث تعلن عن نفسها صباح مساء، وتتطوع حتى لغير طالبيها،وزيادة في

تسويقها وتعميمها أصبح بالإمكان مشاهدتها على جهاز الهاتف النقال الذي لا يفارق الشباب ساعة من ليل أو نهار.....!!!

وهذا يدق ناقوس الخطر بمستقبل قاتم ... غامض ... لأبنائنا إذا لم تتداركهم يد العناية الإلهية أولاً، ثُمَّ وعيُنا ... واهتمامُنا ... وتصدينا لما يراد بهم ثانياً. فالطفل يرى حوله الجنس، ومثيرات الشَّهوة، ومُحركات الغريزه، بمجرد أن يفتح عينيه على الدنيا، ليجد المتطوعين من حوله يقدمون له كل ما لا يحتاج – في حينه – من المعلومات بصورة شوهاء، لا تحمل بين طياتها غير الدمار. لذلك كان لا بُد من التثقيف الجنسي، وفي هذا الوقت بالذات.

من أجل فلذات أكبادنا ... من أجل سلامة أجيال المستقبل ... من أجل مستقبل الأمة والوطن ... من أجل الحفاظ على الفطرة الإنسانية، التي فطر الله الناس عليها ... من أجل بقاء الحياء في عيون العذارى ... من أجل أخلاق الناس ... من أجل إنسانية الإنسان، حتى لا يمشي ميِّتاً يَدُبُّ على الأرض ... من أجل البشرية كافة ... لا بُد من التثقيف الجنسي. لنُحصِّن الجيل شباباً وأطفالاً، ضِدَّ السُّقوط في مستنقعات الرذيلة التي يحملها المستقبل الغامض.

وقبل أن نعرض للبرامج التثقيفية ومحتواها والفئات العُمُريَّة المُستهدَفة لكلٍ منها، وجهات الإشراف عليها والتنفيذ وكيفية ذلك. قبل ذلك كله لا بد أن نعرف موقف الدين الإسلامي من طرح مثل هذه الموضوعات، وحُدود ذلك.

الإسلام والتثقيف الجنسي

من المعلوم أن الدين الإسلامي يتضمن تشريعاً شُمولياً يُغطي مختلف نواحي الحياة "مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ" (38 الأنعام). كما أنه تشريع واقعي (قابل للتطبيق على أرض الواقع في كل زمان ومكان) وليس مُجرد نظريات مِثاليَّة لا يمكن أن تكون في غير الخيال. وعلى رأس مصادر هذا التشريع القرآن الكريم والسنة المطهرة. وقد تطرَّق كلاهما إلى العلاقات الجنسية في مختلف مراحلها ومن زواياها المُتعددة ابتداءً من أبسطها كالتمييز بين الذكر والأنثى ومُيول كلٍ منهما إلى الآخر فطرياً، إلى الحمل والولادة وما يترتب على ذلك من مسؤوليات. ووضَّح العلاقات المشروعة وغير المشروعة، وعاقبة كلٍ منها. كما عرَّف بالعورات فبيَّن حدودها وعلى من تُكشف وعمن تُحجب، وشدَّد على حفظ الفرج وغض البصر وشرَّع لها ضوابطها، كما وضَّح مدى علاقة الصبيان بالبنات (حتى الإخوة في البيت الواحد)، وأمر بالاستئذان وشرَّع له أحكامه، وحدد مُصطلحاتٍ فقهيَّة إسلامية لا بد من فهمها مبكراً حتى تصح العبادة رغم علاقتها بالجنس وأعضائه مثل الجنابة والاحتلام والبلوغ والحيض.....الخ.

تطرقت مصادر التشريع الإسلامي لكل هذه الموضوعات وبحثتها بدقة، ولكن في جو من الحشمة والاتزان، وبتعابير وصيغ تؤدي كامل المعنى بلا لبس، دون أن تشعر بالخجل من الحديث فيها بين الرجال والنساء على حدٍ سواء. بل ولا تخدش حياء العذراء أو تجرح مسامعها في جمع من الناس!!!

ليس هذا فحسب، ولكنه أثنى على نساء الأنصار إذ لم يمنعهُن الحياءُ من التفقه في أمور الدين إذ كانت تأتي الواحدة منهن بقطعة القُطن محملة بشيء من إفرازات المِهبل (مسحة مهبلية) لتتأكد من علامة الطُّهر من الحيض كي تغتسل وتؤدي عبادتها وحق زوجها باطمئنانٍ ويقين؛ فكان ذلك بحقهن مَنقبَةً لا مَثلبَة.

"...فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار! لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين" (مسلم).

عَبَّرَ القرآن الكريم عن الاتصال بين الزوجين (الجماع) بالمسِّ حيناً وبالملامسة حيناً آخر، وبالتغشِّي حيناً ثالثاً. ولعل تعبير التغشي من أدق المعاني التي فصَّلت الكيفية والهيئة، فهذا التعبير يُصوِّرُ للسامع وكأن الزوج يأخذ وضع الغشاء الذي يُغطي الزوجة ويَستُرها كما أن معنى العُلويَّة واضحٌ، وكل ذلك في كلمةٍ واحدةٍ(تغشَّاها)، مُنَوِّهاً إلى المعني والصُّور الجميلةِ والبُعدِ النَّفسي الراقي في الأمر بعيداً عن تهيُّؤاتِ الشياطين وتصويراتهم. وعبَّر عن العلاقات غير المشروعَةِ بالزنا، والسِّفاح، والمُخادنَةِ (اتخاذُ الأخدان).

كما أشارت التوجيهاتُ الإسلامية إلى الطّفل تُحجَبُ عنه مفاتن المرأة إذا ميَّزها بغض النظر عن سنه – لتبقى ذاكرته نظيفة – فإن بلغ العاشرة فُرِّق بينه وبين الجنس الآخر في المضاجع – وإن كانوا إخوة – إذ تبدأ عندها مُحرِّكات الشهوةِ بالاستجابةِ للمؤثِّرات الخارجيةِ وتتحرَّكُ مُيولُهُ نحو الجنس الآخر! فإذا قويت محركات الشهوة لديه أمر بغض البصر وعدم متابعة النظر إلى مفاتن النساء إن ظهر منها شيء – فالأصل أن تَستُر المرأةُ كل مفاتنها عن الأجانِبِ – ليُحافظ عليه بعيداً عن غوايات الشيطان وتُسَدُّ عليه المداخل.

عَنْ أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، عَنِ النّبيّ، صلى الله عليه وسلم، قالَ "إيّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطّرُقاتِ" قالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ مَا لَنَا بُدّ مِنْ مَجَالِسِنَا. نَتَحَدّثُ فِيهَا. قالَ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إلاّ الْمَجْلِسَ، فَأعْطُوا الطّرِيقَ حَقّهُ" قالُوا: وَمَا حَقّهُ؟ قالَ "غَضّ الْبَصَرِ، وَكَفّ الأذَى، وَرَدّ السّلاَمِ، وَالأمْرُ بالْمَعْرُوفِ، وَالنّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ"(متفق عليه). وعن أبي أمامة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال:"ما من مُسلِمٍ يَنظُرُ إلى محاسِنِ امرأةٍ ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إلا أحدَثَ

الله له عبادةً يَجِدُ حلاوتَها." (أحمد والطبراني). وعن جَرير قال: "سَأَلْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم عن نَظْرَةِ الْفَجْأَةِ فقال: اصْرِفْ بَصَرَكَ" (أبو داوود).

فإذا بلغ مَبلَغَ الشباب أمَرَهُ بالزواج ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وإن تعذر الأصل- والأساس للتعامل مع هذه الغريزة الطبيعية وتفريغها فيما خُلقت لأجله (الزواج)- وجَّهَهُ إلى الصوم ليعينهُ على غَضِّ البصر عن المُحرَّمات، وحِفظِ الفرج منها. قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوّجْ، فَإِنّهُ أَغَضّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصّوْمِ، فَإِنّهُ لَهُ وَجَاءٌ." (متفق عليه)

وسرد لنا القرآن الكريم قصصاً مثل قصة سيدنا يوسف، عليه السلام، فصور لنا موقف الإغراء الذي تَعَرَّضَ له أدق تصوير، بأسلوب بياني رائع، مُحتشِم غير مُبْتَذَلْ، وإن كان الموقف نفسُه غاية في الابتذال..! وحدثنا عن البتول التي وَلَدَت من غير زوج (وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) ولا علاقة مُحرمة (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)، فوصف الأمر على لسان الملك فقال: "قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا"..! (مريم 19-20)

أما السُّنةُ المطهَّرَةُ فقد ورد فيها العديدُ من المواقفِ على سبيل التَّشريع والتوجيه والتثقيف لبيان الأفضلية، وتوضيح كل ما يحتاجُهُ المُسلمُ حتى في علاقتِهِ مع زوجته. فوجَّهَ الراغبَ بالزواج إلى المُواصفاتِ المُفضَّلةِ في المرأة حتى في التفاصيل الدقيقة للمتعة والعاطفة (أعذب أفواهاً)! وبين الحد (من مراحل الجماع) الذي يجب عنده الغسل (لقاء الختانين)، ووضح أسلوب الجِماع الأمثل الذي يدخل المسرة إلى الطرفين (الزوجين) معاً وعلى أتم وجه (... وليكن بينهما رسول ...، ... فلا يُعجلها حتى تقضي حاجتها ...، ... ثم إن أراد أن يعود فليتوضأ بينهما ...).

وهكذا نجد أن الشريعة ا لسّمحة اهتمت بالتثقيف الجنسي حرصاً على سلامة الفرد النفسية والجسمية وعلى صحة عبادته وكمالها ، ونظافة المجتمع، وحسنِ بُنيانِه، وانضباطِ قِيَمِهِ؛ لينتج عن ذلك كيانٌ متينٌ مرصوص، لا يتردى بتردي أفراد أو جماعات مهما كانوا. ولا يَهلك بهلاك طائفةٍ وانحدار أخلاقها، ولا تختل مَوازينُه باختلال موازين أصحابِ الدّعواتِ الكاذبة الفتّاكة، البراقة في ظاهرها الخاوية من داخلها، المهلكة في حقيقتها، الساقطة في أهدافها وغاياتها. بل هو المجتمع الرصين ... المبني على المنهج الرباني ... الرائع ... الثابت ... ثبات الحق نفسه ...!!

حياءٌ ... أم خَجَل مهزوم؟

الحيـاء خُلـقٌ مِـن الأخـلاق الرّفيعـةِ المحمـودة. تعارفـت الأُمَـمُ والـشعوبُ والثقافات المُختلفة على ذلك. فهو من الأخلاق التي تقتضيها الفطرة السليمة وتميل لهـا، بـل لعلـه جـزء منهـا. لكنَّـه لا يجـوز أن يُسيطر علـى الإنـسان فـي كُـلِّ ظروفـه وأحوالـه ومَواقفـه. فـإذا مَنَـعَ الحيـاءُ الإنـسان مـن أداء واجبـه تجـاه الله – كـالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر– وتجاه النـاس – كالموعظة الحسنة – فلا يُعَدُّ عندها خُلقاً محموداً، لأن آثارَه وقتئذ تُصبح عكسية على الفرد والمُجتمع.

فالحياء الذي ينتج تصرفاً إيجابياً، يعود خيره على الفرد والمجتمع والأمة بأسرها، يكون حياءً بنّاءً، بل مُنتصراً، إذ يردع عاصياً عن معصيته، أو يَكُفُّ ضالاً عن ضلالته، أو يَمنـعُ رذيلـة أن تتفشى، أو يَدفع إلـى فضيلة من خصال الخير، أو يُجلـي لطيفـة مـن لطـائف الـذوق الرفيـع ... نعم هذا هـو الحيـاء المنتـصر إذ يرفـع صاحبه عالياً في الدنيا والآخرة.

أمّا الحياءُ الذي يَكتنفُ الإنسان فيمنعه من قول كلمة حقٍّ ... أو أداء واجب ... أو دفاع عن عرض مسلم ... أو ذب عن الدين؛ فذلك الحيـاء الـذي لا يُؤدي إلا إلى خسارة، ومن ثَمَّ انهزامٌ في حربِ الفضيلة في وجـه الرذيلـة ... لـذلك يَستحق أن نُسميه ... **الخجلُ المهزوم!!**

وإلاّ، فماذا نُسمي الحياءَ الذي يمنع المسلم أن يتفقه في دينـه ويَعلم حقوقه وواجباته؟ ليَبقى جاهلاً يَعبدُ الله على جهل وضلال! وماذا نُسمي الحيـاء الـذي يمنـعُ الأب أن يُفقّـهَ ابنـه فـي مـا يحتاجُـهُ مـن أمـور دينـه ودُنيـاه، ويُبعـدهُ عـن مـواطن الشُّبُهات، ويقيه مَزالق الشياطين ... شياطينَ الإنـسِ والجن؟! ومـاذا نُسمّي الحيـاءَ الذي يقف حـائلاً أمـام الأمِّ أن تُعرِّف ابنتهـا مـا يعترضـها أو ينتظرهـا فـي القـادم من أيّامهـا بـل أحيانـا والحاضـر منهـا، لتـدبير شـؤونها وشـؤون بيتهـا، وزوجهـا،

وأولادها؟! وماذا نُسمّي الحياءَ الذي يُثقل كاهل المُدرِّس عندما يُقبلُ على توضيح معنى الجنابة وأحكامها لتلامذته وهم في سن المُراهقة؟! والحياءَ الذي ينتاب الآباء وهم يتلون كتاب الله أمام أبنائهم وبناتهم إذا مروا بكلمة النّكاح؟!

ماذا نُسمي هذا الحياء غير الخجل المهزوم؟! مهزوم أمام الشيطان ... مهزوم أمام المُفسدين ... مهزوم أمام أصحاب الدعوات الهدامة ... مهزوم في تربية الأبناء، وتنشئة جيل المُستقبل. نعم إنَّه ... الخجل ... المهزوم!

والواقع الذي يَصرُخُ به كل أهل الحلم والعلم والتربية والإصلاح أنك "إن خجِلتَ أن تتحدث مع ولدك وتُعلّمه ما يجب أن يعرفه بالطريق الصحيح ... والأسلوب السليم ... في جو من الحشمة والجدية؛ فإنَّ هناك الكثير ممن سيحدثونه بما يحتاج ... وما لا يحتاج ... بطريق مِعوجٍّ ... وأسلوبٍ دخيلٍ ... في جو من الغواية ... والإغراء ... والفساد!"؛ فينهزمُ بذلك حياؤك، بل خجلك ... وتخسر المعركة، وينحاز ابنك طائعاً إلى الفريق الآخر، غارقاً في ملذاته، مهدداً بالأمراض الجنسية أو مُدمنا على العادة السرية..... وأنت ترى ذلك ولا حول لك ولا طول، لا تملك إلا عض أصابع النّدم.....ولات حين مندم.

والأمثلة من السُّنة النبوية والسيرة العطرة كثيرة، نُورد منها على سبيل المثال هذا الصحابي الذي جاء يسأل الرسول، صلى الله عليه وسلم، بحضرة السيدة عائشة، رضي الله عنهما، سُؤالاً، أنا على يقين أن 90% منا يخجل أن يسأله بحضور زوجتِهِ أو ابنتهِ هو شخصياً، وقد كان الصّحابة بعد وفاة الرسول يأتون عائشة يَستفتونها في الأمر فتُحدثهم الحديث: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، قالَتْ: إنّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم، عَنِ الرّجُلِ يُجَامِعُ أَهْلَهُ ثُمّ يُكْسِلُ، هَلْ عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ؟ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم،: "إنّي لأفْعَلُ ذَلِكَ، أنَا وَهَذِهِ، ثُمّ نَغْتَسِلُ" (رواه مسلم).

هذا رسولُ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، وهو المُعلم والمُربي الأكثر حياءً في البشر وبجانبه زوجته الطاهرة لم يغضب أو يتهرب من الجواب.....وهذا رجل من عامة الصحابة لم يَمنعه حياؤُه من التفقه في الدين ومعرفةِ المعلومة الصحيحة....هب أنك أنت المسؤول وبجانبك زوجتك؟!!.. ماذا سيكون رد الفعل عندك....!! وكيف ستتصرف مع السائل؟؟.... إذا كشفنا بصدق وأمانة عن حقيقة مشاعرنا، فستكون عبارة عن بركان غضب يمورُ في صدورنا ضد السّائل...هذا إذا كان الواحد منا حليماً أما إن كان غير ذلك فلا شك أن الأمر سيتحول إلى معركة.....فهل نحن أحرص على الحياء من رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ وهل نحن أكثر غيرة منه...؟!!لا ليس هذا ولا ذاك....بل نحن نجهل ويحملنا الخجل المهزوم إلى تصرفات لا تُحمد عقباها، ونحن نظن أننا نُحسن العمل باسم الدين.

أما آن لنا أن نتجاوز بعض الموروثات الاجتماعية الخاطئة، بحيث لا يمنعنا الخجل من الحديث مع أقرب الناس لنا(الأبناء) عن الأمور الجنسية التي يحتاجون إليها، حسب مراحلهم العمرية التي يمرون بها، كي نُحول هذا الخجل المهزوم إلى حياء مُنتصر ... بنّاء ... نافع للفرد ... والمجتمع ... والأمة ... والإنسانية كلها بإذن الله؟! دونما تخلٍ عن حيائنا ومكانته العالية في أخلاقنا وقيمته الغالية في مجتمعاتنا!!.... لأننا بذلك نَخدم الدين ولا نهدمه.... ونحفظ فلذات أكبادنا من المعلومات الخاطئة...ونُساعدهم على تشكيل تصور سليم وصحيح يقودهم إلى حياة أسرية كريمة لا تعرف إلا السعادة والبناء.

كيف نخاطب أبناءنا؟

عندما نتحدث مع أبنائنا في موضوعٍ حساسٍ مثل الجنس، لا بد أن يكون للحديث طابَعٌ خاصٌ، ولا بُد من مراعاة أمورٍ كثيرةٍ، لأنه حديثٌ هام ويجب أن يأخذ نصيبه الذي يستحق من الاهتمام ... والجدية ... والانفتاح. ونحن المسلمين لا بد من أن ننطلق من عقيدتنا وتصورنا الإسلامي عندما نطرق هذا الموضوع، ونتوغل به مع أبنائنا برفق مُستعملين الاصطلاحات الفقهية ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، لأن فهمها من قبلهم من تمام تعبدهم.....إذ كيف تجوز صلاةٌ لمراهقٍ جُنُبٍ وهو لا يعرف معنى الجنابة.....!!

ونهدف من وراء ذلك إلى الأمور التالية:

1- بناءُ فهمٍ ديني مُتدرج، تَصحُّ معه العبادة، فيفوزُ الأبناءُ بأجرها وثوابها.
2- المحافظة على التّصور الإسلامي الصحيح للحياة وأهدافها من عبادة وإعمارٍ للكون.
3- تجنيبُ أبناءِ المسلمين الفهم الخاطئ وما يترتب عليه من آفات.
4- حماية المُجتمع من الانفلات والمُحافظة على الأخلاق العامة.
5- حماية الشّباب من الأمراض النّفسية والجنسية المختلفة.

لهذا ننصح المربين بمراعاة القواعد التالية:

1. البداية المبكرة: لا يُنصح بتأخير البداية في التثقيف الجنسي حتى دخول الطفل مرحلة المُراهقة، لأن الطفل إذا بلغ سِنَّ المُراهقة مال إلى الاعتماد على الأصدقاء، ووسائط المعلومات غير المأمونة، والأشخاص الآخرين أكثرَ من اعتماده على الأبوين. فإذا لم تكن جُسور الثقة والانفتاح للحديث في مثل هذا الموضوع قد ترسخت بعد، فهذا يعني أن احتمالية الانفلات كبيرة.

2. **اعتماد أسلوب الحوار: إن أسلوب التلقين وإصدار الأوامر والتّعليمات، الذي يعتمدُه الكثيرون مع أبنائهم لا يُعطيهم الفرصة الكافية للتعبير عن أنفسهم، وبالتالي يَتَعذّر على الوالدين أن يعرفوا كمية المعلومات التي تلقاها الابن، ومقدار ما استوعبَهُ منها، ومدى قناعته بما تلقى، وبالتالي مدى الالتزام المُتوقع ومدى الفائدة التي تحصلت لديه. علاوة على قياس مدى الحاجة إلى أساليب أخرى مدعّمة، غير الحوار والحديث المباشر – مقالة أو بحثاً أو كتاباً منضبطاً – أو ضرورة الاستعانة بآخرين من ذوي الخبرة والاختصاص. ويجدر بالذكر هنا أن المُشاهدة المُشتركة لبعض البرامج التعليمية حول مواضيع ذات علاقةٍ بالأمور الجنسية مناسب جداً لبدء نقاش صريح في الموضوع.**

3. **لا تكن مشدود الأعصاب: خُذ الأمر بأريَحِيّة وابدأ الموضوع بشكلٍ طبيعي، لا تَرتَبك أو تتردّد، وتذكّر أنّك إن لم تتحدث معهُ بالموضوع فإنّ غيرك – دون شك – سوف يفعل، ولا تدري كيف سيفعل! وماذا سوف يُقدم من معلومات؛ كثُرت أم قلت؟! أصابت أم أخطأت؟! أفادت أم أضرت؟! فمن الخير لك ولولدك أن تُبادر أنت. ولسنا ننكر صُعوبة البداية ولستَ وحدك المُحرج من ذلك، فرغم الانفلات الجنسي في الغرب، والانفتاح المحموم، إلا أن الدراسات كشفت عن أن غالبية الآباء هناك ما زالوا يجدون صُعوبة في الحديث مع أبنائهم بالأمور ذات العلاقة بالتثقيف الجنسي!!.....فهذا أمرٌ طبيعي ولكن لا بد من أن نتغلب عليه.**

4. **كن منفتحاً: اجعل طفلك يشعر أن صدرك مفتوح لأسئلته في أي وقت وحول أي موضوع. وبذلك لن يَغيب عنك ولن تغيب أنت عنه، وسوف يجدك حيثما احتاجك مما لا يترك مجالاً للعابثين، فيُفسدوا عليك ولدك.**

5. **الخطاب بالقدوة والثقة: أثبتت الدراسات – وأكدها المنطق قبل ذلك – أن الأبناء يُريدون (بل ويحتاجون) القُدوة من آبائهم وأمهاتهم. انطلق لابنك من مبادئك التي تلتزم بها أنت شخصياً. لا تتلعثم في الحديث عندما تُبين مبادئك ومُعتقداتك لهم؛ فالتردد والتلعثم يَنُمُّ عن عدم ثبات المبادئ لدى المُتحدث ممّا يؤثر سلباً على مدى قناعة المخاطب بها وتقبله لها.**

6. **اهتمام غير مقطوع: لا تسمح لأي شيء أن يقطع اهتمامك بولدك أو يُقاطع حديثك معه عندما تُباشر بحث هذا الأمر. لا بُد أن تُشعره أنّه هو مِحورَ اهتمامك. أعطه الوقت الكافي والاهتمام المتصل.**

7. **كُن أميناً: قدم له معلوماتٍ كافية وواضحة تماماً حسب مرحلتِهِ العُمُرية. لا تُسلّمه للغُموض أبداً، ولا تترك فجوات كبيرة في المعلومات التي تُزوّده بها.**

8. **تحلى بالصبر: عند الحوار مع ابنك قد تنتابه لحظات من التَّردد أو الحيرة في إكمال عباراته وانتقاء مُفرداتِهِ. عندها سيتولد لديك الدافع لمساعدتِه وإكمال جمله، قاوم هذا الدافع واتركه يُفكِّر ويُعبِّر عن نفسهِ بطريقتِهِ الخاصّة لأن ذلك سيُساعدك على معرفة ما يدور في خُلده وبالتالي لاختيار الإجابة المُناسبة لفهمه.**

9. **اقتنص الفرص: ستجد العديد من الفرص اليومية للحديث معه في هذا الموضوع، اغتنمها أينما كانت ومتى ظفرت بها ... في السوق ... في السيارة ... عند مشاهدة التلفاز ... !! أو عند مشاهدة بعض الحيوانات في الحديقة أو عند قراءة القرآن الجماعيّة وتفسير بعض الآيات....!!**

10. **لا تستسلم: كرر الحديث حول الموضوع المرة تلو المرة، لا تيأس أو تستسلم للملل، إنه فلذة كبدك ... إنه يستحق منك كل الاهتمام ... وكل الوقت**

... وكل الجُهد، تذكر أنه صيد ثمين للشياطين وسيسعدون بإهمالك لـه وعدم اهتمامك به.... وتذكر أنه فلذة كبدك....إنه يستحق منك كلك....!!

الفئات العمرية المستهدفة

يميل الكثير من أهل الاختصاص إلى تقسيم موضوع الثقافة الجنسية إلى حُزمٍ من المعلومات تُعطى حسب المراحل العُمْريةِ التي يمرُّ بها الإنسان. ومن هذه التَّقسيمات العُمْريّة التي أقرتها مُنظمة الصِّحة العالميّة أربع فئات مستهدفة بالتثقيف.

ورغم وجود برامج تثقيفية كثيرة في العالم، إلا أنّها فُصلت لبيئتها، فلا يَصلُحُ لأبنائنا منها إلا النَّزر اليسير، وذلك لأننا نختلف معهم بالمُنطلقات والأهداف. ولهذا لا بد لنا من بناء برامج ذاتية خاصة بنا تَنبُع من عقيدتنا وثقافتنا الإسلامية، كي نصل بأبنائنا إلى بر الأمان. والفئات الأربعة المستهدفة هي:

أولاً: مرحلة ما قبل البلوغ ويمكن أن تقسم إلى مرحلتين:

أ. **مرحلة الطفولة الأولى:**

لعل أول بدايات هذه المرحلة عندما يُصبح الطفل قادراً على استكشاف ما حوله، وطرح الأسئلة للاستعلام عنه ومحاولة فهمه. وفي هذه المرحلة غالباً ما يَطرح الأبناء أسئلة جنسية يرى الأهل أنّها سابقة لأوانها. ولذا يُنصحُ الأهل هنا بعدم نهر الأبناء، أو إجابتهم إرتجالياً بما لا يكفي من المعلومات.

وكثيراً ما تكون أسئلة الأطفال أكثر تحديداً من أسئلة المراهقين. كما أن قدرة فهم الطفل لا تقل عن قدرة فهم المراهق، فيتوجب على الأهل الإجابة عن الأسئلة برزانة، وهدوء، بدون تحوير للسؤال؛ لأن ذلك يُسبِّبُ اضطراباً في نفس الطفل. ونلفت الانتباه هنا إلى ضرورة

إعطاء الطفل من المعلومات الصحيحة ما يكفي لإشباع فضوله، وليس من الضروري إعطاؤه الحقيقة كاملة، لكن من الضروري عدمُ استخدام الكذب أو إعطاء معلومات مغلوطة تضطر الأهل العُدولَ عنها مستقبلاً، ممّا يَهُزُّ ثقة الطفل بوالديه، فيلجأ إلى استقاءِ المعلومات لاحقاً من الآخرين. ورسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، يقول لنا في الحديث الصحيح (كل مولود يُولد على الفطرة فأبواه يُهوِّدانِهِ أو يُنَصِّرانِهِ أو يُمجِّسانِهِ)

رواه مسلم.

ثُم إنَّ طرحَ الأسئلة ذات العلاقة بالحياة الجِنسيَّة من قِبَلِ الطفل ظاهرة صِحيّة يَجبُ أن لا تثير القَلَقَ لدى الأهل، بل يُفتَرَضُ أنْ تُشعرهم بالارتياح. والتّصرُّفُ السّليمُ هو مُقابلةُ ذلك بالإجابة بما يتناسَبُ مع المرحلة العُمْريّة التي يمر بها الطفل، وقُدرته على الفهم والاستيعاب.

ويَقتصر دور الوالدين – حسب الطابَع العام لهذه المرحلة – على الإجابة على ما يَطرحُه الطّفلُ من أسئلة. وتختلف طبيعة هذه الأسئلة كماً ونوعاً من طفل لآخر، حسب تطور مقدرته على استقصاء مُحيطِهِ والتَّفكير فيه، ومن ثم طرح الأسئلة حوله. لذا يجب أن يجد الإجابة على كل ما يدور في خُلدِهِ، فلا يُتركُ في حيرةٍ من أمره. وبالتالي لا نستطيع أن نُحدد نحن المواضيع التي نعرضها، بل حسب ما يطرحه الطفل مما يَلفت انتباهه،وفي بيئته على قاعدة لكل حادث حديث.

ومن المهم جداً اختيار الأسلوب الأنسب لطريقة الجواب وشرح الأمور المُرادُ توضيحُها، وللوصول إلى ذلك يحسن إعطاء الطفل الفرصة الكافية للتعبير عن تصوراتِهِ عن الأمر. فإذا سأل الطفل عن أمرِ ما نُجيبُهُ بقولنا وما رأيُك أنت؟ ... كيف تظن أن ذلك يَحدث؟ ... وهكذا.

ومن الأمور التي عادة ما تثير فضول الطفل وتساؤلاته في هذه المرحلة مظاهر الحمل والولادة، خصوصاً إذا كانت أمُّهُ حاملاً، فيبدأ بالاستفسار عن كيفية حصول الحمل وكيف سيخرج أخوه؟ ومتى يكون ذلك؟ ولعلنا نسوق هذا الحوار البسيط بين الطفل ووالده للفائدة:

الطفل : لماذا بطن أمي كبير؟

الوالد : لأنها حامل، بداخله طفل صغير.

الطفل : ومن أين جاء الطفل؟

الوالد : الأب يضع بذرة عند الأم كي تكبر وتصبح طفلاً.

الطفل : كيف يضع هذه البذرة؟

الوالد : ربنا سبحانه وتعالى يُعلِّمُ الأب كيف يفعلُ ذلك.

الطفل : وكيف يخرج الطفل من بطن أمّه؟

الوالد : ما رأيك أنت؟

الطفل : نأخذ الأم إلى المستشفى ونفتح بطنها بالسكين.

الوالد : وهل رأيت الناس في المستشفى يحملون السكاكين؟

الطفل : لا.

الوالد : ربنا خلق للأم فتحة خاصة لهذا الغرض.

الطفل : وأين تقع هذه الفتحة؟

الوالد : عند فتحة البول، لكنها مختلفة عنها.

وفي هذه المرحلة عليك كمربي تنفيذ الأمور التالية:

1- عدمُ نهر الأبناء إذا سألوا عن الأمور الجنسية.

2- الجوابُ يجب أن يكون صحيحاً ولو لم يكن كاملاً.

3- عدم الاستهتار بالسؤال بل أخذُهُ بكل جدية والتّعامُلُ معه على أنَّه ظاهرة صحية.

4- عدم تحوير سؤال الطفل وأخذه كما هو.

5- اسأل أهل الاختصاص عن الطريقة المُثلى لجواب الطفل.

6- أشرك الطفل بالحوار حتى تعرف ما عنده من معلومات.

7- التركيزُ في هذه المرحلة على تعليم الطفل الصَّلاة بالترغيب والقُدوة الحسنة.

ب. مرحلة الطفولة الثانية:

وتبدأ من سنِّ العاشرة ولغايَةِ الثّانية عشرة وهي مرحلة الإعداد للبُلوغ. ولا شك أنها مَرحلة حَرجَة فإذا كان سنُّ الثالثة عشرَ هو مَظنَّة البلوغ فهناك ضرورة لإعداد الطفل لهذه المرحلة الهامة في حياته قبل بُلوغِها، حتى لو لم يكن لديه أي إلمام بالحقائق الجنسية.

أمّا التوجيهات النّبوية فقد أشارت إلى سِنِّ العاشرةِ على أنَّه سِنُّ التَّفريق في المَضاجِع، كما أكَّدت الأحاديثُ النَّبويَّةُ الكريمة على ذلك. قال رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم،: "مُرُوا أوْلاَدَكُم بالصّلاَةِ وَهُمْ أبْنَاءُ سَبْع سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أبْنَاءُ عَشْر سِنينَ، وَفَرّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِع". وهذا الحديثُ رواه أبو داود بإسناد حسن، ومن رُواتِهِ أيضاً النَّسائي، وابن ماجه، وأحمد، والحاكم، والطبراني، والبزار، والدارقطني ولعل الصِيَغَ المُتعدِّدَةَ والرِّوايات المُختلفة للأحاديث النبوية التي تأمرُ بذلك أكبرُ دليلٍ على أنَّ الرسولَ الكريم، صلى الله عليه وسلم، قد نَبَّهَ للأمر في مُناسبات عِدة ممّا يَدُلُّ على أهميَّتِه ومدى الاهتمامِ بهِ، تحذيراً من غوائل الشَّهوةِ وإن كانوا إخوة وأخوات.

ومن المهم جداً حماية الطفل في هذا السن من الثرثرات المفسدة، خاصة المهيجة منها للغرائز، التي قد يسمعها من رفاق السوء، والتي غالباً ما تكون من صنع الخيال فقط، حيث أوتي البعض قدرة فائقة على التصوير،وخيالاً خصباً يؤهله لنسج ما لا يحصى من

القصص، وهي لا تزيد في مجموعها عن نداءات في أعماق نفسه، سرعان ما يستجيب لها خياله الخصب، فيصوغ منها قصصاً مهيجة،يسوقها إلى أقرانه على أنها بطولات من صنعه، لا فتاً أنظارهم إلى أنه الوحيد القادر على الوصول إلى المستور، وصاحب الحظ السعيد الذي تتهالك الفتيات للوصول إلى قلبه..... أما المساكين من حوله فكأن على رؤوسهم الطير، جاحظة عيونهم، مفتوحة أفواههم، معجبون بكل حرف يسمعونه، كلهم إصغاء، ولديهم القدرة على إعادة كل ما سمعوه، تتحرك غرائزهم، ويسيل لعابهم وينقدح في أذهانهم تقليد صاحبهم والوصول إلى ما وصل إليه، وقد يصل إعجاب أحدهم بما سمع، إلى أن ينسب إلى نفسه كل ما سمعه من صاحبه، ويزيد عليه ما قد يقتضيه النص، ولكثرة ما يردد ذلك، يحفظه عن ظهر قلب، ويتفنن ويستمتع في سرده، ويوما بعد يوم يصبح بطلاً وزير نساء كصاحبه، من المهم جداً محاولة فهم نفسية الطفل أولاً،وبأن مثل هذه التفاعلات والتداعيات لما سمعه من صاحبه، تحدث حقيقة في نفسه، حتى ليصل إلى قرار في أعماقه بأن صاحبه بطل (ودنجوان)، وبالتالي ما الذي يمنعه، وماذا ينقصه ليصبح مثله؟! وثالثاً وهو الأهم إبعادهم عن مثل هذا الوسط بلباقة، ودون تكلف، ودون الإفصاح عن ذلك، وذلك بمرافقته وإخوانه أكبَر قدر ممكن من الوقت، وإشغالهم طيلة ساعات العطلة، قراءة القرآن،صلاة،رحلة،زيارات،سماع محاضرات هادفة،سماع أشرطة ومشاهدة أفلام (فيديو) مبرمجة وهادفة،وتتناسب مع فئته العمرية، مع الحرص على أن تكون هذه المصاحبة محببة إلى الطفل، ومغرية له، بحيث يسودها فرح ومرح وكثير من الجلوس والأطعمة والأشربة المحببة إلى نفسه،وإلا سيتصور نفسه في سجن اختياري ومفتوح، ولعل أصعب ما يعانيه المرء، أن يحس أنه في سجن مفتوح، وعندها سيدفعه إحساسه إلى عمل المستحيل، للتحايل على واقعه، وممارسة كل

فعل معاكس. كما يَجِبُ أن تُزيلَ من قلبه كُلَّ هَلَعٍ يُصيبُهُ – إذا كان يجهلُ – مَظاهِرَ البُلوغ (مثل:تَغَيُّر الصّوتِ و ظُهور الشعر على أجزاءٍ من الجسمِ لم يكن يظهر عليها سابقاً، والانتصاب، والقذف، ودمُ الحيض، والشَّهوة الجِنسيَّة، ... الخ).

على الأهل أن يشرحوا لأطفالهم أُسُسَ الحياةِ الجنسية قبل بلوغ الثانية عشرة من العُمر. ويجب استغلال المُناسبات التي تسمحُ بطرح مثلَ هذه الموضوعات وتَبسيطها أمام الطفل، حتى يَستعد لمُواجهة الحقائق المُقبلة، دون ريب أو شطط، فإن لم توجد الفُرصَةَ المُواتية، فلا بد للأم أن تصطنع بعض المُناسبات للدخول بهذا الحديث مع ابنتها المُراهقة، وتُكلّمُها عن بعض المظاهر القادمة، والتَّغيُّرات الجسمية، ثُمَّ الحيض، وإنَّهُ بداية التَّكليف، ولا بُدَّ من الاستحمام منهُ، حتى تستطيع الدُّخول بالصلاة،أي ربط الأمر تَعبُّديا ليتسنى للأم حُريَّةَ الكلام تحت غطاء ديني، لتصل إلى أكثر من هدفٍ في الوقت نفسه، وكذلك الأب لا بُدَّ مِن أن يقوم بالشيء ِنفسه مع أولاده الذكور، بإشعارهم بالرجولةِ والمقدرةِ والمسؤولية، بسبب أنَّهم أصبحوا كباراً، فهذا الصوتُ قد تغيَّر وأصبح خشناً وهذا الشَّعر بدأ يظهر على اللحية....إلخ وغيرُ ذلك بالتَّدرُّج ثُمَّ موضوعُ الاحتلام ثُمَّ الجنابة، ما هي وما يترتب عليها من غُسل للدُّخولِ بالصَّلاةِ؟!

ويُمكنُ في هذه المرحلة مُعاودة التَّركيز على ما تَمَّ غَرسُهُ سابقاً لدى الطفلِ، مع تطوُّرٍ في الأسلوبِ؛ لترسيخ المبادئ والمعلوماتِ التي نَوَدُّ تسليحَ الطفل بها. فلتوضيح معلومة أن الحمل لا بُدَّ له من لقاءٍ بين الرَّجُلِ والمرأةِ بطريقةٍ فيها التِصاقٌ وتقاربٌ؛ يُمكنُ الاستعانَةُ بقصة السيدة البتول مريم العذراء، وبُشرى الملك لها بأن يهب لها بأمر الله غلاماً زكياً، واستغرابها أن يكون لها ولد من دون أن يكون لها زوج!

قال تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا {16} فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {17} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا {18} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {19} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا {20} قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا" (سورة مريم)

وفي هذه المرحلة لا بد من عمل الآتي:

1- التَّفريقُ بين الأبناء في المضاجع حسب أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم.
2- الانتقالُ إلى المرحلة الثانيَةِ من تعليم الصَّلاةِ لمن لم يلتزم بعد(واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر)
3- مساعدة الأبناء على تكوين أصدقاء من عوائل محافظة ومُهتمَّة بأبنائها.
4- محاورة الولد حول بعض العلامات كتغيُّر الصَّوت،ظهور الشعر،الانتصاب، الجنابة.
5- محاورة البنت حول الحيض،الجنابة،الطهارة.....الخ.
6- اقتناصُ الفُرص من قبل المُربين وخاصة الوالدين للحديث حول هذه الأمور، وأفضل صورة بغطاءٍ ديني، كقصةٍ وردت في القرآن أو السنة.

ثانياً: **مرحلة البلوغ المبكر** (13 – 15 **سنة**):

وهي المرحلة المدرسية المتوسطة (الإعدادية). في هذه المرحلة لا بُدَّ من وُجود دور مُشترك، واضح، ومُتكاملٍ بين البيتِ والمدرسةِ، لشرح النُّضج الإنساني (البلوغ) الجنسي للطفل في هذا السن.

وهذا يتطلب برنامج دروس في علم الجنس النباتي والحيواني، وفي أعضاء التذكير والتأنيث، وتركيب الأعضاء التناسلية، والإخصاب والإباضة، وطبيعة

البُلوغ، والنُّضج، والشَّهوة الجنسية، وتكوين المني (الحيوانات المنوية والسائل المنوي)، والبُويضة.

مهم جداً في هذه المرحلة تعليم الطفل عدمَ الخجل من السُّؤال عن التطورات التي تَحصلُ معهُ، سواء كانت نفسية أو جسديَّةً أو عاطفيَّةً. بل يُمكنِهُ السُّؤالُ عن كُلِّ ما يجولُ في خاطرهِ ويَجِدُ الصَّدرَ الواسِعَ، والعقلَ المُتفهِّمَ، والجوابَ الشّافي في جوٍّ من الاحترام والتقدير والإكبار. وليسَ اللومُ أو الدَّهشَةُ والعتابُ! فهذا كتابُ الله الكريمِ المُطهَّر يتحدثُ عن النِّكاح لتَردَ فيه الكلمةُ ومشتقاتُها 23 مرة، ومُباشرة الأزواج لنسائهم وردت عشرات المرات بصيغ مختلفة كذلك.

أما موضوعُ العادةِ السِّريَّة، فهو من أهم الأمور التي يجب تغطيتها في هذه المرحلة العُمْرية. فيتوجب على الأهل هنا وكذلك المُربين تقديم كُلِّ المعلومات حول العادة السِّريَّة بكل أمانَةٍ وجدِّيَّةٍ وانفتاح. وللمزيدِ حولَ موضوع الاستمناء (العادة السِّريَّة) يُمكن الرجوع إلى مقالة "العادة السرية ... ما لها وما عليها" على موقعنا على الإنترنت (www.qudah.com).

بهذا يكون الطفل قد تلقى دروساً جنسيَّةً في جوٍّ علمي يَتميَّزُ بالجدِّيَّةِ والمِصداقيّة والحِشمَةِ، ويشمل كافة المخلوقات التي تتكاثرُ، وطُرُق تكاثُرها كوظيفةٍ حيويَّةٍ ضروريَّة لاستمرار وُجودها. انطلاقاً ممّا يحصلُ في النّباتات إلى ما هو عليه الحال عند الحيوانات، وصولاً إلى ما يكون بين بني البشر. بتدرُّج تصاعُدي من البسيط إلى المُعقد ... ومن السَّهل إلى الصَّعب ... ومن العادي إلى الحرج.

وقد يَظُنُّ البعضُ أنَّ المُراهق في هذا السن قد لا يَستوعِبُ كُلَّ ما ذكرناه من موضوعات يَجِبُ تغطيتُها في هذا السِّن. ووجْهَةُ النَّظر هذه عادةً تصدرُ عن أولياءِ الأمور الذين لا يَستوعبون سُرعَةَ نُمُوِّ أبنائِهِمْ وبناتِهِمْ. ويَبقونَ مدى الحياة يخشون عليهم من تحمل المَسؤوليَّةِ، ولو تزوجوا وأصبحوا آباءً. لكننا نُذكِّرُ هنا

بحديثٍ ورد عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، فعن، أبي هريرة رضي الله عنه، قال:

" صلى بنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلمّا سلّم أقبلَ علينا بوجهِهِ فقال: مجالِسَكم، هل منكم الرجلُ إذا أتى أهلهُ أغلقَ بابَهُ وأرخى سِتْرهُ ثُمّ يَخْرُجُ فيُحدِّثُ فيقولُ: فعلتُ بأهلي كذا وفعلتُ بأهلي كذا؟ فسكتوا فأقبلَ على النساء فقال: هل منكن من تُحدِّث؟ فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ويسمع كلامها، فقالت: إي والله إنَّهم يَتحدثون وانَّهُنَّ ليتحدثْن. فقال، عليه السلام، هل تدرون ما مَثَلُ من فعل ذلك؟ إنَّ مثل من فعلَ ذلك مثلُ شيطانٍ وشيطانة لقي أحدُهُما صاحبَهُ بالسِّكة فقضى حاجتَه منها والناس ينظرون" (رواه أحمد وأبو داوود)

والفتاة الكعاب (يبدو ثديها للنّهود) التي جثت على إحدى ركبتيها ليراها الرسول؛ هي في عرفنا اليوم في سن المراهقة (13 – 15 سنة)، كانت في الحضور، وسمعت الحديث، وفهمت مُراده، بل وأجابت سؤال الرسول، صلى الله عليه وسلم، من دون الناس، ولم يُعنِّفها أحدٌ أو حتى يُنكِرَ عليها جُرأتَها، بل تمت بمداخلتها فائدةُ الحديثِ تشريعاً إلى يوم الدين، وما زال ذِكرُها قائماً! ..... ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، لم يَتردّد أن يَذكُرَ الأمرَ أمامَ أطفالٍ مراهقين بحُجَّةِ صِغَرِ سِنِّهم، أو أنَّ الأمرَ مُبكِّرٌ عليهم....!! كما نفعلُ نحن؟! بل ذكَرَهُ بوضوح ليأخذوا المعلومة الصَّحيحة من مصدرها الموثوق....فينبني عليها تصورٌ صحيحٌ ينبثق عنه سلوكٌ قويمٌ، ومُلخص ما يجب تنفيذه في هذه المرحلة الحرجة ما يلي:

1- **يَجِبُ أن يَتلقى الطالب في المَدرسَةِ شرحاً علمياً صَحيحاً عن الجِنس النَّباتِي والحيواني وطُرُق التَّكاثُر فيها وأعضاءِ التَّذكير والتَّأنيثِ، وعن الإخصاب والإباضة والبُلوغ والغريزةِ الجنسية.... ثُمَّ عندَ الإنسان، السائل المنوي والبويضة.**

2- تفهيمُ الطلابِ المُصطلحاتِ الفقهيَّةِ الخاصَّة بهذه الأمور مِثْلُ الجَنابَةِ،البُلوغ،الحيض،الطَّهارةِ، وشَرحُها لهم وعلاقة ذلك بالتكليفِ وكمال العبادة.

3- ترحيبُ الوالدين بأسئلةِ أبنائهم لشرح المزيدِ عن ما أخذوهُ في المدرسة.

4- التَّعريفُ بالعادةِ السرِّيَّةِ ومَخاطرُها، بواسطة مقالةٍ أو كتابٍ أو محاضرة.

5- ضبطُ ما يُعرضُ في البيتِ من تلفازٍ ومجلاتٍ مثيرة.

6- دفعُ الأبناءِ إلى مراكز الفضيلةِ لحفظ القرآن الكريم، حيثُ الصُّحبة الصالحة.

7- توجيهُ الأبناءِ نحوَ الرِّياضَةِ والمُطالعَةِ للاهتمام بأجسامهم وعقولهم.

ثالثاً: مرحلة البلوغ الثانية (15سنة فأكثر):

والمسؤوليَّةُ في هذه المرحلة – وإن كانت مُشتركة – يَقَعُ العِبءُ الأكبرُ منها على كاهل المُؤسَّساتِ التَّربويَّةِ (المدارس) والقائمين عليها. فيُعاد في هذه المرحلة ما تَمَّ شرحه وتوضيحُه في المرحلة السّابقة، ولكن بتوسُّعٍ أكبرَ مع المزيدِ في التوضيح والتفصيلِ لكلٍّ من الذكور والإناث، وليس كما يَحصل في بعض الدول الغربية مثلُ فلندا حيث يستلم المُراهِقُ في عيد ميلاده السادس عشر ورقة مُفصَّلَة عن الجنس ومعها مجموعة من الأكياس الواقية ثُمَّ يُحمَّلُ كامل عواقب ممارساته الجنسية.

ونحن هنا في هذه المرحلة الحرجة نذكر بشرح الموضوعات التالية:

- **الغريزة الجنسية وأهدافها من منظور إسلامي.**
- **الاستمناء وأخطاره.**
- **العفةُ وأهميتها في الدنيا والآخرة . ويُمكنُ الاستعانة بما يلي:**

- **قصةُ عفة سيِّدنا يوسف مع امرأة العزيز في القرآن الكريم.**
- **حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " سَبعَةٌ يُظلُّهُمُ اللهُ في ظلّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إمام عادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبه مُعلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال : إني أخافُ الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تَعلمَ يمينه ما تنفق شماله، ورجلٌ ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه " (متفق عليه)**
- **حديثُ النّفر الثَّلاثة . قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: " انطلق ثلاثةُ نفرٍ مِمَّن كان قبلكم حتى آواهم المبيتُ إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ مِنَ الجَبَل وسدَّت عليهم الغار،**

فقالوا: إنَّهُ لا يُنجّيكُم من هذه الصَّخرةِ إلاّ أنْ تدعوا اللهَ بصالح أعمالكم ..... فأخَذَ كلٌّ يَروي ما عملَهُ من صالحات، والصَّخرةُ تنزاحُ شيئاً فشيئاً، حتّى جاء دورُ الثّالثِ فقال: اللّهم إنَّه كانت لي ابنةٌ عَم أحبُّها كأشدِّ ما يُحِبُّ الرِّجالُ النِّساء، فراودتُّها عن نفسها فامتنعت مِنّي، حتى ألمَّت بها سَنَة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها، حتى إذا قدِرْتُ عليها، وقعَدْتُ بين رجليها قالت: اتَّق اللهَ ولا تفُضُّ الخاتَمَ إلا بحقّه، فتحرّجتُ من الوقوع عليها وانصرفت عنها، وهي أحبُّ النّاس إليَّ، وتركت الذَّهبَ الذي أعطيتُها. اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرج عنّا ما نحنُ فيه فانفرجَت الصَّخرة...". رواه البخاري

- الأمراض المنقولة جنسياً وآثارها المدمره.
- الحيضُ (الطمث).وكيفيَّةُ التَّعامُلِ معه من حيث الطَّهارة ثُمَّ العبادة
- العناية بنظافة الأعضاء التناسليه.

وتهدفُ هذه الدروسُ والبرامجُ إلى التَّعريفِ بالتغييرات التي تطرأ على جِسمِ الإنسانِ ونفسيّتِهِ، ومُيولِهِ، وعلاقاتِهِ الأخرى بكلٍّ من الجنسين، وكيف يُمكنُهُ ضَبطُ هذا الميول وتوجيهُ مَشاعرهِ الوجهَة السَّليمة. والتَّعريفُ بالمُمارساتِ الخاطِئَةُ للجِنْس، وبمُحرِّكاتِ الشَّهوةِ ومُثيراتِها التي تَدفعُ لمثلِ تلكَ المُمارَسات، وبيانُ أضرارها والموقِفُ الشَّرعي منها، وكيفية مُكافحتِها والتَّغلُّبُ عليها؛ حتى تَتَبَيَّن أسبابُ المَنع من سُلوكِ الطريق المشبوهَةِ علاوَةً على الطريق الحرام، وما يَنتظِرُ سالكُها من مصائِدَ مُحدِقةٍ ومَخاطِرَ مُهلِكةٍ.

لا بُدَّ هنا من توضيح الحقائِق بشكلٍ جليٍّ وباستطراد، لأنَّ الأبناءَ في هذا السِّنِّ تَصعُبُ السَّيطرة عليهم ومراقبتهم ما لم يكن الوازعُ داخلياً، والسيطرةُ ذاتية

نابعةً من الضَّمير. وهذا يتوقَّفُ على طبيعةِ التَّربيَةِ التي تلقاها الواحد منهم في السنوات السابقة، والتي يبدأ قِطافُ ثِمارها في مثلِ هذا الأمر، وفي مثلِ هذهِ المرحلةِ من العُمر، إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهكذا يَحصُدُ الأهلُ ما غرسوا في السَّنواتِ السّابقه.

رابعا : **مرحلة النضوج والمسؤولية الكاملة من سن 21 فأكثر**:

وهذه المرحلة تشمل طلابَ الجامعاتِ وعامَّةَ النَّاس ممن بلغ سن الحاديَة والعشرينَ فصاعداً. وتكونُ البرامِجُ المُوجَّهةُ للذكور مُنفصِلةً عن تلك التي تُوجَّهُ للإناث، وإن اشتركت في بعضِ المحتوياتِ، لأنَّ طبيعةَ الحديثِ مع الذُّكور وعرضِ المعلومات لهم تختلف عنها للإناث.

1. برامج الرجال: ومن المُفترض أن تشتمل على الموضوعات الاتية:
   - أسُسُ اختيار الزَّوجَةِ – لتكوين الأسرة المنشودة – والطُّرُق المشروعة لذلك.
   - الحياةُ الزوجيَّةُ السَّويَّة.
   - أخطار الزِّنا قال تعالى: "وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً"(الإسراء 32)، وقال: "وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ"(الأنعام 151)
   - الوقايةُ من الأمراض المنقولةِ جنسياً.
   - اضطرابات القابلية الجنسية عند الرجل والمرأة.

2. برامجُ النّساء: من المُهمِّ احتواؤها على المواضيع الآتية:
   - أسُس اختيار الزَّوج وكيفيَّة ذلك، وتكوين الأسرة.
   - الزواج، وليلة الزفاف.
   - الصحة الجنسية.

- **الحمل.**
- **الأمراض المنقولةُ جنسياً.**
- **العناية بنظافة الأعضاء التناسلية.**

مـع العلـم بـضرورة اقتـران هـذه البـرامج بتقـديم الاستـشاراتِ الـصِّحيَّةِ والجنسيَّة، واشتمالُ هذه الاستشارات على الحالات الخاصَّة والمُعقدة، تُقدَّمُ من قبل أخصّائيين.

هذه البرامِجُ إذا ما طُبِّقتْ في بلادِنا تَحْتَ مَظلةٍ دينيَّةٍ جادَّة ومُتدرِّجة ستُساهِمُ قطعاً فـي حـلِّ المـشكلات الناتِجَـة عـن الجـنس فـي مُختلـفِ المَراحِـلِ والأحـوال، والتخفيفِ من الأعباءِ الملقاة على عاتق الفردِ والمجتمع، وإسعاد الشعوب. فعلى الحكومـات أن تُنَفِّذَ مثل تلك البرامج. وتعمم التثقيف الجنسي على نطاق واسع؛ لمساسِ الحاجة لـه فـي عصرنا الحديث، ولكن بما يَتناسَبُ وعادات مُجتمعاتِنا، وقيمها الدينية والاجتماعيَّة.

وأخيراً يَجْدُرُ الإشارة إلى ضرورةِ تنظيمِ بَرامِجَ خاصة بالآباء والأمَّهاتِ والمربين. يتدربون من خلالها على:

- **فهم مراحل نمو الطفل وطبيعة كل مرحلة.**
- **نفسيَّةِ الطفل، وكيف يُفكِّر.**
- **مُيولِ الطفل ورغباتِهِ.**
- **أسلوبِ التّعامِلِ الأمثل.**
- **كيف تكسب ثقة الطفل؟**
- **الطريقة المُثلى لتقديمِ المَعلومَةِ للطفل.**
- **أساليبِ فهمِ أسئلةِ الطفل وطُرُق إجابتها.**
- **كيفية تقديم المعلومات الجنسية والأوقاتِ المناسبَةِ لذلك.**
- **كيف تُنْشِئ حواراً مع الطفل وتُديره.**

وغيرها من الموضوعات التي يحتاجها الوالدان والتربيُّون وكل من يتعامل مع الطفل في مختلف مراحل حياته.